

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

### رَشْحَةُ عَنِ الْجَلْسَةِ الْمَاضِيَّةِ

لقد صرّح المحقق الأخوند بأنّ سائر الصيغ الإنسانية كالتمني والترجي والاستفهام قد وضعت للترجي الإنساني والاستفهام الإنساني و هكذا نظير الطلب الإنساني فإن العنصر المشترك في كافة الصيغ هو «الإيقاع الإنساني» حيث إنّ هذا المعنى قد ذُرّ في موضوعها سويةً، سواءً قد استعملها الله تعالى أو أنها شرطها، إلا أنّ المائز بينهما هو أنّ الإنسان يترجّح بحالة - و داعية - حقيقةً فيستخدم الترجي الإنساني واقعاً بحيث إنّ الموضوع له - الإيقاع الإنساني - قد تأتمّ مع داعي الإيقاع الإنساني حقيقةً بينما هذه الصفات المُنْحَطَّة قد استحالت في حق الله سبحانه فإنه تعالى يستعمل الصيغ الإنسانية بداع آخر فيتمّ إظهار المحبة أو يستفسر لداعي الإنكار والتقرير والتوجيه و... وبالتالي لا يتمنّى ولا يترجّح ولا يستفسر حقيقةً كي تولد الاستحالة الذاتية.

محادثة المحقق الاصفهاني حول الصفات الدّائمة تجاهه سبحانه  
لقد شرح المحقق الاصفهاني - في البداية - مقالة أستاذه مُعترضاً قائلاً:[1]

«لا يخفي عليك (الإشكال على الكفاية):

1. أنّ المحال في حقه - تعالى - ثبوتها و (تُلْبِسُهُ بِهَا) لا إظهار[2] ثبوتها (فإن الله قد أظهر تلك الصفة خارجاً فحسب من دون أن يتلّبس بها وبالتالي لا يتولد المستحيل).

2. والأغراض المترتبة على إنشاءاتها (هي) بلحاظ كشفها عن ثبوتها (في النفس بحيث يُنشئ الصيغة كي يكشف عن أن الصفة ثابتة في المتكلّم) لا بلحاظ نفس وجوداتها الإنسانية (فلم يخلق صيغة إنسانية محضره بل لكي يكشف عن ثبوتها) فإنّ إيجاد المفهوم بوجوده الجعليّ العرضيّ اللفظيّ (و هو الوجود التّنزيلي) - مع قطع النظر عن كشفه عما (في الضمير و هو استفهام، أو تمنّ أو ترجّ بالحمل الشائع) لا يترتب عليه إظهار المحبة و غيرها من الأغراض. (فمع مجرد الطلب أو التّمني الإنسانيين و غيرهما في مقام التّلّفظ لا يتحقق غرض المتكلّم كما زعمه الكفاية بل إنّ استخدام الصيغة سيكشف حتماً عن ثبوتها في نفس المتكلّم بالحمل الشائع كي يتحقق إنشاء الحقيقة، لا محضر إنشاء اللفظيّ).

ثم تجاهر عن رأيه النهائي قائلاً:

فالإنصاف أنّ كيّفية الاستعمال والدلالة (و الموضوع له) على الجدّ في ما وقع في كلامه - تعالى - (هي) على حدّ ما في كلام غيره (فلا يختلف استعمال الله تعالى عن البشر من ناحية المستعمل فيه إذ المعنى الحقيقي محتفظ في كلام استعمالين إلا أنّ القصد مُتفاوت فيهما) إلا أنه فيه - تعالى - إظهار المحبة مثلاً، فهو يُظهر المحبة والاستئناس بإظهاره الاستفهام الحقيقي بقوله تعالى: و ما تلّكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى[3]، كما أنه - تعالى - يُشَجِّعُهُ - عليه السلام - على دعوة فرعون بإظهاره الترجي الحقيقي (فالاستعمال حقيقي بخلاف الكفاية) بقوله تعالى: لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى[4] فافهم.

فبالتالي، إنَّ الله تعالى قد استَخدَم الاستفهامَ الحَقِيقِيَّ وفقاً لمعناه الذي وُضع له تماماً فلم يتغيَّر المعنى الحَقِيقِيَّ تجاه الله تعالى إلا أنَّ مُسْتَهْدَفَهُ -الجَدِيُّ- تعالى قد تعلَّق بإظهار المحبَّة في مورد التَّمَنِي و إظهار الاستِينَاس في مورد الاستفهام و هكذا فإنَّ الله تعالى يَسْتَخْدِم عمليَّة إظهار الصَّفَات من دون أن يتَّبَّس بها إطلاقاً، وَتَضَعُ أنَّ هذا الإظهار قد نَبَعَ عن غرض جَدِيٍّ كالمحبَّة و... - لا التَّمَنِي الجَدِيُّ- بينما البشر يَسْتَخْدِم الصَّيْغ على حَقِيقِتِها و بقصد التَّمَنِي الحَقِيقِيُّ -جَدِيًّا- أيضًا.

### زَحْزَحَةُ تجاه مقالة المحقق الاصفهاني و نلاحظ عليه:

1. أولاً: إنَّه قد فَسَرَ الإظهارَ تفسيرًا مُسْتَجَداً زاعماً أنَّ الإظهار لا يَتَوَقَّفُ على ثبوت الصَّفَة في النفس -أي ظهور اللفظ في معناه الحَقِيقِيَّ لا بقصد الثبوت بل بقصد آخر- بينما الإظهار المُصْطَلحَ يَرْتَهِنُ على الثَّبُوت -أي إظهار ما في الضمير- فحينما يَسْتَخْدِم صيغة التَّمَنِي فقد أَظْهَرَ و كَشَفَ أُمْنِيَّتَهُ الْبَاطِنِيَّةَ حَتَّماً، فكيف يَقُولُ المحقق الاصفهانيُّ بِأَنَّ المتكلَّم قد أَظْهَرَ الاستفهام و... من دون أن تَثْبِتَ الصَّفَة بِدَاخِلِهِ فَإِنَّهُ لَوْلَا ثَبَاتِ الْمَنْبَعِ و الصَّفَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لَمَا تَحَقَّقَ الإظهار و الكشف إطلاقاً فَإِنَّهَا مَنْشَاً لِلإِظْهَارِ.

2. وثانياً: يَبْدُو أَنَّه قد ارتكَبَ المجازيَّةَ إِذ قد دَمَجَ معنى التَّمَنِي في كلا استعمالِيْنِ -تَمَنَّى الله تعالى و البشر- ثُمَّ بَدَأَ الأَغْرَاضَ الْجَدِيَّةَ، و هذه الصَّنِيَّعَةَ تَسْتَدِعُ المجازيَّةَ.

3. و ثالثاً: إنَّ مَثَالَ مَقَالَهُ يَؤُولُ إِلَى مَقَالَ الْكَفَايَةِ تَامَّاً فَإِنَّ تَغْيِيرَ الْقَصْدِ و الغَرْضِ يُسَاوِي تَبَدُّلَ الدَّوَاعِيِّ -التي قالَهَا الْكَفَايَةُ- فِي النِّتَاجِ.

مسَرَّحُ نَظَرِنَا فِي هَذَا الْمُضْمَارِ  
وَأَسَاسًا إِنَّا قَدْ هَدَمْنَا -مُسْبِقًا- بُنْيَانَ التَّفَكِيرِ حَوْلَ «الْوُجُودِ الْإِنْشَائِيِّ» فَقَدْ شَرَحَا أَنَّ الْلَّفْظَ لَا يُوجَدُ شَيْئًا إِطْلَاقًا -لَا فِي التَّكْوينِ وَلَا فِي الْاعْتَبَارِ- وَبِالْطَّبْعِ لَا يُعْقَلُ لِلْفَظِ أَنَّهُ يَوْجِدُ مَعْنَى إِنْشَائِيًّا -بِشَتْتِ الْإِنْشَائِيَّاتِ الْمُذَكَّرَةِ- بَلْ مُهْمَّةُ الْأَلْفَاظِ هِيَ أَنْ تَحْكِيَ عَنْ كُمُونِ حَقِيقَتِهِ الْبَاطِنِيَّةِ فِي التَّمَنِيِّ أَوِ الْاسْتِفَهَامِ أَوِ التَّرْجِيِّ أَوِ الْطَّلَبِ الْحَقِيقِيِّ أَوِ... فَإِنَّ هُوَيَّةَ الْإِنْشَائِيَّاتِ هِيَ الْحَكَايَةُ فَحَسْبَ بِحِيثِ إِنَّ الْوَاضِعَ قَدْ وَضَعَ الْأَلْفَاظَ كَعَلَامَاتٍ وَإِشَارَاتٍ لِهَذِهِ الْحَقَائِقِ الْمُخْبَأَةِ مِنْ دُونِ تُسْتَعْمِلُ الْأَلْفَاظَ فِي الْمَفَاهِيمِ وَالْمَعَانِيِّ وَالْمَوْضِعِ لِهِ الْمُصْطَلحَ بِلِإِنَّمَا مَوْضِعُ الْأَلْفَاظِ هِيَ الْحَكَايَةُ -لَيْسُ أَكْثَرُ- وَفِي هَذَا الْمُنْتَلَقَ لَا تَنْتَرِطُ فِي الْمَجَازِ وَخَلَافُ الظَّاهِرِ وَ... فِي الْتَّالِيِّ إِنَّ الْبَشَرَ الَّذِي يَجْهَلُ الْوَاقِعَ سَيَحْكِيُّ عَنْ تَمَنِيِّ الْوَاقِعِيِّ وَعَنْ تَرْجِيِّ الْمَكْنُونِ حَقِيقَةً، بَيْنَمَا اللهُ تَعَالَى سَيَحْكِيُّ عَنْ إِرَادَةِ الْمَحَبَّةِ وَالْاسْتِينَاسِ وَالرَّحْمَةِ وَ... الْمَكْتُومَةِ لِهِ بِبَرَكَةِ اسْتِخْدَامِ هَذِهِ الصَّيْغِ.

وَلَهَا قَدْ اسْتَنَكْرَنَا مُسْبِقًا الْكَبْرِيَّ الْقَائِلَةَ: بِأَنَّ الْوَاضِعَ قَدْ وَضَعَ لِكُلِّ الْأَلْفَاظِ مَعَانٍ وَمَفَاهِيمَ حَقِيقِيَّةَ فَإِنَّ هُوَيَّةَ الْلَّفْظِ هِيَ عَلَامَيَّةُ الْحَقَائِقِ الْبَاطِنِيَّةِ أَوِ الإِرَادَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ أَوِ النَّسْبَةِ الْوَاقِعَةِ فَحَسْبَ

### مُتَجَهُ الْمُفَسِّرِينَ تجاه الآيات المذكورة

لقد عَثَرْنَا عَلَى تَفْسِيرَاتِ بَعْضِ الْأَعْلَامِ<sup>[5]</sup> مُصْرَحًا بِأَنَّ التَّرْجِيَّاتِ -لَعَلَّ- الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الْإِنْسَانُ يَعُودُ إِلَى جَهْلِ الْمُتَكَلِّمِ بِالْتَّحْدِيدِ حيث يَتَرَجَّجُ أَنْ تُثْمِرَ الْمَزْرِعَةُ ثِمَارَهَا، بَيْنَمَا تَرْجِيُّ اللهِ سَبْحَانَهُ بِلَحَاظِ الْمُتَعَلِّقِ وَالْفَعْلِ الْخَارِجِيِّ مِنْ دُونِ أَنْ يَجْهَلَ النَّتْيُوجَةَ -فَلَرَبِّما لَمْ يَتَحَقَّقِ الْفَعْلُ الْمُتَرَقَّبُ-.

وَنَلَاحِظُ عَلَيْهِ بِأَنَّ التَّرْجِيَّ الْإِلَهِيَّ تجاه الْمُتَعَلِّقِ وَالْفَعْلِ مُسْتَحِيلٌ أَيْضًا<sup>[6]</sup> بِلِأَحْيَانًا يُسْتَخْدِمُ لِفَظُ «لَعَلَّ»:

1. لأَجْلِ التَّعْلِيلِ -لَا لِلتَّرْقِبِ- نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: «ثُمَّ عَفُونَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكِ لِعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ»<sup>[7]</sup>.

2. أو للغاية نظير قوله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ لِعَلَكُمْ تَفْلِحُونَ»[8].

و الحقّ الحقيق أنّ «لعلّ» يُستخدم للحكاية عن إرادته لتحقّق المحبّة – من دون تغيّر معنى اللّفظ – لا أنه قد استعمل بلحاظ الفعل الخارجيّ فإنه خلاف الظاهر.

---

[1] نهاية الدراسة في شرح الكفاية. 1. Vol. 309 بيروت – لبنان: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

[2] و الغرض من إظهار ثبوت تلك الصفات، ايراد كلام له ظهور بحسب مقام المحاورة في ثبوت هذه الصفات، وإن لم يقصد الحكاية عن ثبوتها (في نفسه) بل قصد بإيراده إظهاراً للطف والمحبة؛ لئلا يلزم من قصد الحكاية عن ثبوتها الكذب. فتدبر (منه عفي عنّه).

[3] سورة طه ٢٠: ١٧.

[4] سورة طه ٢٠: ٤٤.

[5] قد صرّح الأستاذ المعظم أنّهما: آية الله العظمى الشيخ جوادى الآملى و الشيخ جعفر السّبّاحانى في ذيل هذه الآيات – التمني و الترجي والاستفهام و... –

[6] لأنّه يستتبع الجهل بعاقبة الأفعال.

[7] سورة البقرة الآية 52.

[8] سورة آل عمران، الآية 200.